@ 207 @ خير) ^ . ويؤخذ من عموم هذا اللفظ والمعنى ، أن الصلح بين من بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء ، أنه خير من استقصاء كل منهما على كل حقه ، لما فيه من الإصلاح ، وبقاء الألفة ، والاتصاف بصفة السماح . وهو جائز في جميع الأشياء ، إلا إذا أحل حراما ، أو حرم حلالا ، فإنه لا يكون صلحا ، وإنما يكون جورا . واعلم أن كل حكم من الأحكام ، لا يتم ، ولا يكمل ، إلا بوجود مقتضيه ، وانتفاء موانعه . فمن ذلك ، هذا الحكم الكبير ، الذي هو الصلح . فذكر تعالى المقتضي لذلك ، ونبه على أنه خير ، والخير كل عامل يطلبه ، ويرغب فيه . فإن كان مع ذلك قد أمر ا به ، وحث عليه ازداد المؤمن طلبا له ، ورغبة فيه . وذكر المانع بقوله : ^ (وأحضرت الأنفس الشح) ^ أي : جبلت النفوس على الشح ، وهو : عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان ، والحرص على الحق الذي له . فالنفوس مجبولة على ذلك طبعا . أي ينبغي لكم ، أن تحرصوا على قلع هذا الخلق الدنيء ، من نفوسكم ، وتستبدلوا به ضده وهو : السماحة ، وهو بذل الحق الذي عليك ، والاقتناع ببعض الحق الذي لك . فمتى وفق الإنسان لهذا الخلق الحسن ، سهل حينئذ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله ، وتسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب . بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه ، فإنه يعسر عليه الصلح والموافقة ، لأنه لا يرضيه إلا جميع ماله ، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه . فإن كان خصمه مثله ، اشتد الأمر . ثم قال : ^ (وإن تحسنوا وتتقوا) ^ أي : تحسنوا في عبادة الخالق ، بأن يعبد العبد ربه ، كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه ، فإنه يراه . وتحسنوا إلى المخلوقين ، بجميع طرق الإحسان ، من نفع بمال ، أو علم ، أو جاه ، أو غير ذلك . ^ (وتتقوا) ^ ا ، بفعل جميع المأمورات ، وترك جميع المحظورات . أو تحسنوا بفعل المأمور ، وتتقوا بترك المحظور . ^ (فإن ا كان بما تعملون خبيرا) ^ قد أحاط به ، علما وخبرا ، بظاهره وباطنه ، فيحفظه لكم ، ويجازيكم عليه ، أتم الجزاء . ^ (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النسآء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن ا كان غفورا رحيما) ^ يخبر تعالى : أن الأزواج لا يستطيعون ، وليس في قدرتهم العدل التام بين النساء . وذلك ، لأن العدل : يستلزم وجود المحبة على السواء ، والداعي على السواء ، والميل في القلب إليهن على السواء ، ثم العمل بمقتضى ذلك . وهذا متعذر غير ممكن ، فلذلك عفا ا ، عما لا يستطاع ونهى عما هو ممكن بقوله : ^ (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) ^ أي : لا تميلوا ميلا كثيرا ، بحيث لا تؤدون حقوقهن الواجبة . بل افعلوا ما هو باستطاعتكم في العدل . فالنفقة والكسوة ، والقسم ونحوها ، عليكم أن

تعدلوا بينهن فيها . بخلاف الحب ، والوطء ونحو ذلك ، فإن الزوجة ، إذا ترك زوجها ، ما يجب لها ، صارت كالمعلقة ، التي لا زوج لها فتستريح وتستعد للتزوج ، ولا ذات زوج ، يقوم بحقوقها . ^ (وإن تصلحوا) ^ ما بينكم وبين زوجاتكم . وبإجبار أنفسكم على فعل ما لا تهواه النفس ، احتسابا وقياما بحق الزوجة . وتصلحوا أيضا ، فيما بينكم وبين الناس . وتصلحوا أيضا بين الناس ، فيما تنازعوا فيه . وهذا يستلزم الحث على كل طريق يوصل إلى الصلح مطلقا كما تقدم . ^ (وتتقوا) ^ ا بفعل المأمور وترك المحظور ، والصبر على المقدور . ^ (فإن ا كان غفورا رحيما) ^ يغفر ما صدر منكم ، من الذنوب ، والتقصير في الحق الواجب ، ويرحمكم كما عطفتم على أزواجكم ورحمتموهن . ^ (وإن يتفرقا يغن ا كلا من سعته وكان ا واسعا حكيما) ^ هذه الحالة الثالثة بين الزوجين ، إذا تعذر الاتفاق ، فإنه لا بأس بالفراق . فقال : ^ (وإن يتفرقا) ^ أي : بطلاق ، أو فسخ ، أو خلع ، أو غير ذلك . ^ (يغن ا كلا) ^ من الزوجين ^ (من سعته) ^ أي : من فضله ، وإحسانه الواسع الشامل . فيغني الزوج بزوجة ، خير له منها ، ويغنيها من فضله . وإن انقطع نصيبها من زوجها ، فإن رزقها على المتكفل بأرزاق جميع الخلق ، القائم بمصالحهم ، ولعل ا يرزقها ، زوجا خيرا منه . ^ (وكان ا واسعا) ^ أي : كثير الفضل ، واسع الرحمة . وصلت رحمته وإحسانه ، إلى حيث وصل إليه علمه . وكان مع ذلك ^ (حكيما) ^ أي : يعطي بحكمته ، ويمنع لحكمته . فإذا اقتضت حكمته منع بعض عباده ، من إحسانه ، بسبب في العبد ، لا يستحق معه الإحسان حرمه ، عدلا وحكمة . ^ (و ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا ا وإن تكفروا فإن ما في السماوات وما في الأرض وكان ا غنيا حميدا * و ما في السماوات وما في الأرض وكفى با وكيلا) ^ يخبر تعالى ، عن عموم ملكه العظيم الواسع ، المستلزم تدبيره ، بجميع أنواع التدبير ، وتصرفه بأنواع التصريف ، قدرا ، وشرعا . فتصرفه الشرعي ، أن وصى الأولين والآخرين ، أهل الكتب السابقة واللاحقة بالتقوى المتضمنة للأمر والنهي ، وتشريع الأحكام ، والمجازاة لمن قام بهذه الوصية ، بالثواب ، والمعاقبة لمن أهملها وضيعها ، بأليم العذاب . ولهذا قال : ^ (وإن تكفروا) ^ بأن تتركوا تقوى ا ، وتشركوا با ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، فإنكم لا تضرون بذلك ، إلا أنفسكم ، ولا تضرون ا شيئا ، ولا تنقصون ملكه . وله عبيد خير منكم ، وأعظم ، وأكثر ، مطيعون له ، خاضعون لأمره . ولهذا رتب على ذلك قوله : ^ (وإن تكفروا فإن ما في السموات وما في الأرض وكان ا غنيا حميدا) ^ له الجود الكامل والإحسان